ملامح الرفض في شعر فاروق جويدة

الأستاذ المساعد الدكتور عبّاس يداللهي فارساني
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة شهيد چمران – أهواز – إيران
farsiabas@gmail.com
الأستاذ المشارك الدكتور نعيم عموري
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة شهيد چمران – أهواز – إيران
naim_amouri@yahoo.com
طالبة الماجستير بلقيس إبراهيمي زاده (الكاتبة المسؤولة)
قسم اللغة العربية وآدابها - جامعة شهيد چمران – أهواز - إيران
bel.ebrahimi@gmail.com

Protestation Manifestations in the Poetry of Farough Joveideh

Assistant Professor Dr. Abbas Yadallah Faresani
Department of Arabic Language and Literature - Shahid Kamran University - Ahvaz - Iran
farsiabas@gmail.com
Associate Professor Dr. Naim Amouri
Department of Arabic Language and Literature - Shahid Kamran University - Ahvaz - Iran
naim_amouri@yahoo.com
Master's student, Bilqis Ibrahimi Zadeh (responsible writer(
Department of Arabic Language and Literature - Shahid Kamran University - Ahvaz - Iran
bel.ebrahimi@gmail.com

الملخّص :

ارتبطت فكرة الرفض بالقصيدة الحديثة بسبب ما يكتنفها من هموم إنسانية ونفسية تكاد تشمل كل مسارات حياة الإنسان المعاصر الذي وجد نفسه إزاء الواقع الاجتماعي المتدهور الذي تقاذفته هموم الحياة اليومية، فاتجه نحو التعبير عن آماله وآلامه بكل سخط ونقمة، ومن ثمّ تميزت إبداعاته الشعرية بالثورة والرفض. يعالج البحث دراسة فكرة الرفض والتمرّد بأنماطها المختلفة في شعر فاروق جويدة، الشاعر المصري الحديث، معتمدًا علي المنهج الوصفي التحليلي ثمّ المصادر التي كانت ضرورة لإنجازه.يعدّ فاروق جويدة واحدًا من الشعراء المصريين المعاصرين الذي تفاعل كثيرًا مع ظروف المجتمع المصري وقد رفض كل مظاهر الفساد التي عمّت مسارب الحياة، فحاول عبر الثورة والتمرد إصلاح الواقع المحيط به بكل مستوياته. أخيرًا خلص البحث إلي أنّ الشاعر حاول عبر قضية الرفض والثورة أن يثير قضايا هامّة تتصل بالوجود الإنساني عبر أحداث وحقائق تلعب دوراً محوريا في تطوير المجتمع الإنساني في مختلف المستويات كالثقافة والاقتصاد والسياسة محاولاً ترسيم سبل النجاح ونضال الإنسان المصري في التغلب علي العقبات التي تعترض سبيله وعلي الثنائيات المتضادة التي أقلقته. من أهم تمظهرات الرفض في شعر فاروق جويدة، الرفض السياسي، الرفض الديني والرفض الاجتماعي.

الكلمات المفتاحية : الشعر المصري الحديث – الرفض – الثورة – فاروق جويدة .

Abstract:

The thought of protestation has a close relation with contemporary ode which is due to the humanistic and psychological concerns that have encompassed the life of the contemporary man as he sees himself encountered by a chaotic social reality to whom routine life concerns attack from every corner; therefore, he moves toward expressing his pains and wishes with anger and hatred. For this, literary innovations of the contemporary human have features of revolution and protestation. Adopting an analytico-descriptive approach and using the related resources, this paper deals with various factors of protest in the poetry of Farough Joveideh, the contemporary poet from Egypt. He is a contemporary poet who has had a close interaction with realities of Egypt Society. At the end, the results of the study showed that the poet, through the thought of protestation, has been looking for picturing subjects related to human realities which have a pivotal role in upheavals and changes in human society at different levels such as culture, economy, and politics. He also attempts to present the ways through which his society can release itself from the troubles it has encountered to. The most important protestation manifestations in his poetry are political protestation, religious protestation, and social protestation.

Key words : Contemporary Poetry of Egypt , Protestation , Revolution , Farough Joveideh .

المقدمة

تعدّ فكرة الرفض والتمرد من النزعات الفكرية التي ضربت جذورها في الأدب العربي من الجاهلية إلي يومنا هذا وأقامت صلات وطيدة بينها بين الأدب. فلا نبعد إذا قلنا إننا لا نستطيع أن نعثر علي ظاهرة فكرية تمتّ بصلة وطيدة إلي الأدب قدر ظاهرة الرفض والتمرد وهذا ناتج عن تدهور الظروف المعيشة وتغير معالم الحياة في مختلف مستوياتها.ومن ثم ارتبط الشعر العربي الحديث بهذه الفكرة ارتباطًا وثيقًا حيث جعلته يندمج معها، فيجد الشعراء أنفسهم تجاه الحياة اليومية والروتينية التي اكتنفتها الهموم النفسية والروحية منطلقين نحو التعبير عن المضايق والمصائب المحيطة بهم، ومن هنا اتسمت إبداعاتهم الفنية والأدبية بالثورة والسخط والغضب.

إذا أمعنا النظر في المقطوعات الشعرية الحديثة نجد أنّها تكتظ بميزة السخط والنقمة حيث صارت ميزة أساسية لها، فنستطيع القول إنّ هذا ناتج عن سمات الشعر من جانب، وسمات الشاعر النفسية والروحية من جانب آخر.استقرت حالة الرفض بصورة كبيرة ومعبرة في العصر لحديث عندما استفحلت الحضارة وتفاقمت الظروف المحيطة بالشاعر وما يتبلور عبرها من نوائب اجتماعية وسياسية وفكرية جعلت منه شاعراً رافضاً بكل معني الكلمة. إذن فالأحداث التي مرت بها الأمة العربية والإسلامية من احتلال وتشتت وضعف وتراجع وضعت الشاعر علي حافة الرفض التي صارت مدلولًا للتعبير عمّا في وجدان الشاعر من عدم قبول الظروف التي تلقي المجتمع إلي الهاوية وعدم الاستقرار والاطمئنان.

فالشاعر أصبحت ذاته تخوض معركة وصراعًا ضدّ الباطل في هذا المجال. الرفض حالة خلقية تسعي إلي السموّ بالإنسان ورفعته وتهدف إلي خلق إنسان جديد ثائر بوجه الطغاة ورافض لسلبيات الحياة.

منهج البحث

تمّ إعداد هذا البحث وفق المنهج الوصفي التحليلي معتمدًا علي المصادر التي كانت ضرورة لإنجازه خاصة المجموعات الشعرية للشاعر المصري الحديث "فاروق جويدة".

أهداف البحث

من أهمّ الأهداف التي سوف نحاول تجسيدها هي التي جعلت الشاعر المصري يطلق اللسان للتعبير عن فكرة الرفض وكل ما ساقه مساق هذا النمط

الشعري المنشود، فضلًا عن الإبانة عن أهمّ مستويات الرفض والتمرد وأساليبها المختلفة ودواعيها ضمن مجموعاته الشعرية.

أسئلة البحث

من أهمّ الأسئلة المطروحة ضمن البحث ما يلي:

١- ما الذي جعل الشاعر يتجه نحو فكرة الرفض والتمرد عبر إنتاجاته الأدبية؟

٢- كم أثرت الظروف المحيطة بالشاعر من الفكرية والسياسية والدينية في نزعته نحو التمرد والغضب؟

٣- ما أهمّ تمظهرات الرفض وأساليبه عند الشاعر؟

فرضيات البحث

تبين لنا عبر إمعان النظر في فكرة الرفض عند الشاعر عدة فرضيات جعلته شاعراً متمردًا ورافضًا، منها ما يلي:

١- من المفترض عبر البحث أنّ الشاعر أراد من طرح قضية التمرد والرفض ضمن المقطوعات الشعرية بناء مجتمع سليم وإطلاق صراح وطنه "مصر" والأمة العربية والإسلامية من قيودها، وتنوير وتوجيه المجتمع والأجيال. ومن ثم إثارة نفوس الشعوب الإسلامية وحثها علي المواجهة لاتخاذ مصيرها المحدد من أجل الوصول إلي الحرية ونبذ الخلافات.

٢-إعلان الشاعر رفضه السياسي تعبيراً عن الضعف السياسي الحاكم في بلدته "مصر" ومدي تعمُّق هذه الفكرة من خلال الظروف السياسية القائمة وتسلط الحكام غير لائقين علي الشعوب العربية والإسلامية.

خلفية البحث

بما أنّ الشاعر المصري الحديث "فاروق جويدة" يعدّ من أبرز الشعراء المعاصرين وأنبلهم في مجال الإنتاج الأدبي،ومن ثمّ أكثر الباحثون والدارسون من معالجة نتاجه الأدبي وتحليل مواقفه الفكرية الواردة عبر خارطة النص الشعري، إلاّ أنهم لم يتناولوا حتي الآن قضية الرفض ومصادره وأنماطه في ثنايا مقطوعاته الشعرية.من أهمّ البحوث التي تمّ نشرها في شعر فاروق جويدة ما يلي:

١- تحليل المضامين السياسية في شعر فاروق جويدة في ثورة ٢٠١١م المصرية. مرتضي قائمي، مجلة لسان المبين، السنة الخامسة،١٣٩٣، رقم ١٦،ص ١٥٢-١٢٨.

٢- خصائص الأسلوب في شعر فاروق جويدة. محفوظ حسين عبدالحميد محمد، أطروحة الدكتوراه، جامعة المينا، كلية دار العلوم، ١٤٣٤ه-٢٠١٣م.
٣- فاروق جويدة بين الرومانسية والواقعية. علي نظري وسمية أونق، مجلة اللغة العربية وآدابها، جامعة لرستان ٢٠١٢م.
٤- موتيف الإمام الحسين (عليه السلام) في شعر فاروق جويدة. نعيم عموري، مجلة الكوفة للدراسات العدد ٣٧، ٢٠١٥م.
٥- البنيات الأسلوبية لقصيدة "لو أنّنا لم نفترق" لفاروق جويدة. رسالة الماجستير.جامعة العربي التبسي،صباح فارح وكاملة عايد.٢٠١٧م.
٦- فاروق جويدة دراسة أسلوبية في شعره الملتزم. نرجس أنصاري.مجلة اللغة العربية وآدابها. جامعة طهران.السنة ١٢، العدد ١، ١٤٣٧.
٧- مظاهر الصحوة الإسلامية في آثار فاروق جويدة مسرحية الخديوي ودماء علي أستار الكعبة نموذجًا. عدنان أشكوري وسعيد زرمحمدي.مجلة إضاءات نقدية بين الأدبين العربي والفارسي، جامعة قزوين،السنة الربعة،العدد ١٦، ٢٠١٤م.

الرفض من منظور اللغة والمصطلح

أتت كلمة "الرفض" في المعاجم اللغوية لتدلّ علي معان كثيرة منها: رفض الشيء: أرماه وتركهُ،لم يقبلهُ. الرفض من كل شيء: المتفرق. رفض الوادي رفضاً ورفوضاً : اتسع. رفض النخل: انتشر عذقه وسقط غلافه. رفضت الماشية تفرقت وانتشرت في المرعي، ترعي وحدها حيث شاءت(١).

أما الرفض من منظور المصطلح فهو عدم قبول شيء ما. الرفض يتطلب حالة من المواجهة ،والطموح وتصدي لتداعيات الحياة. والرفض ليس سلاح العاجزين، إنما من يرفع شعار الرفض هو إنسان مثقف وواعٍ بأفكاره الهادفة ويهدف لنيل الحرية للبشرية واجتثاث العبودية والقمع.

لعلّ أول كلمة مدوية صريحة بهذا المعني الرفضي، هي كلمة (لا إله إلا الله) الذي أتي بها النبي محمد (صلى الله عليه وآله) من أجل إطلاق سراح البشرية من قيودها. وهي رفض العبودية ونفي الزيف الذي طغى على العقل البشري. الرفض عند الفلاسفة اصطلاح يطلقه المحدثون على مقاومة اللاإرادة لدافع معيّن، أو على رفضها التصديق بالأمر، أو تأييده، أو الانقياد له. وعلي الصعيد العام كثيراً ما

نسمع صداه في البرلمانات والأنظمة، فيقال: ترفض الحكومة العدوان الإسرائيلي علي الشعب الفلسطيني الأعزل والمجلس يرفض هذا القرار وكذا...كلمة الرفض ذات صيت في زحمة أحداث الحياة اليومية، وكثيراً ما يستخدمها الساسة والإعلاميون ويرددونها باستمرار.أما في لغة الشعر فتختلف هذه الكلمة حينما تكون تعبيراً إنسانيا، مليئة بمعاناة الإنسان الحديث، وتصدي لسلبيات الحياة، لمواجهة صعوباتها وفك قيودها، من أجل الوصول إلى السعادة الحقيقية. فإنّ الرفض يعيد للإنسان ذاته التي جرفها تيار المعايير والقيم الاجتماعية السائدة لتلك المعايير التي حجبت ضوء الشمس عن فكر الإنسانية التي كانت بشكل أو آخر سبباً مهماً في تقدمه الحضاري. إنما نقصد القيم التي تشكل حجر عثرة أمام تطور الإنسان وتقدمه. الرفض هو صرخة مدوية ونداء للحريات، وله منطلق إنساني ووجداني.

الشاعر في سطور

فاروق جويدة شاعر مصري معاصر ولد في مدينة كفر الشيخ عام ١٩٤٦م وهو من الأصوات الشعرية الصادقة والمميزة في حركة الشعر العربي المعاصر. نظم كثيراً من ألوان الشعر إبتداءً بالقصيدة العمودية وإنتهاءً بالمسرح الشعري. أتيح له أن يتتلمذ علي أيدي أساتذة كبار تابعوا إنتاجه الشعري في المرحلة الأولي ومنهم الدكتور محمد مندور، والدكتور شوقي ضيف. تخرج من كلية الآداب بجامعة القاهرة عام ١٩٦٨م ودخل عالم الصحافة كمحرر بالقسم الاقتصادي بجريدة الأهرام في نفس العام، ثم أصبح سكرتير تحرير الأهرام عام ١٩٧٥م وأصبح مشرفاً علي الصفحة الثقافية للأهرام عام ١٩٨٧م والتي تعد أول صفحة ثقافية يومية في تاريخ الصحافة العربية. ثم تولي رئاسة القسم الثقافي وبعدها أصبح رئيس تحرير الأهرام عام ٢٠٠٠م. تشرف جويدة بعضوية نقابة الصحفين، جمعية المؤلفين لاتحاد الكتاب ولجنة الشعر بالمجلس الأعلي للثقافة وله العديد من المشاركات الفعالة في عدة من المهرجانات الشعرية العربية والدولية في مصر وفي العديد من المناسبات الثقافية الدولية بآسيا وأروبا وألقي مجموعة محاضرات عن تجربته الشعرية بعدد من الجامعات.

الأعمال الأدبية لفاروق جويدة

قدم جويدة العديد من الكتب والمؤلفات القيمة التي تنوعت ما بين القصائد الشعرية والقضايا السياسية والثقافية وأدب الرحلات فضلًا عن

المسرحيات الشعرية، مثل الوزير العاشق، دماء على أستار الكعبة،الخديوي،هولاكو. لقد مثّلت هذه المسرحيات مصر في العديد من المهرجانات المسرحية العربية، وقدأخرج لنا ١٧ مجموعة شعرية من بينها ديوان حبيبتي لا ترحلي ١٩٧٥ م - ويبقي الحب -كانت لنا أوطان - أعانق فيك عمري، لن أبيع العمر، ألف وجه للقمر، في ليلة عشق، آخر ليالي الحلم، في عينيك عنواني، زمان القهر علمني ، عزف منفرد. ترجمت بعض قصائده ومسرحياته إلى عدة لغات عالمية منها الإنجليزية والفرنسية والصينية واليوغوسلافية وتناول أعماله الإبداعية عدد من الرسائل الجامعية في الجامعات المصرية والعربية والدولية.

مكانة الشاعر فاروق جويدة

الشاعر فاروق جويدة شاهد عصره، وهو ابن هذه الأرض المصرية الطيبة. يقول عنه إبراهيم خليل إبراهيم رصدت في دراستي فيوضات الحب والوطنية والهموم القومية التي جادت بها قريحته الشعرية. لم يحصر جويدة نفسه في إطار الشعر فقط، فينطلق مناقشًا القضايا الثقافية والسياسية والفكرية المعاصرة، ملتزماً بقضايا وطنه وأمته، فكانت ولازالت له العديد من المقالات القوية والتي أثارت البغض وأغضبت النظام السياسي القائم أحياناً. ولكنه ضلّ متشبثاً بقلمه جاعلاً منه لساناً يعبر من خلاله عن رأيه الخاص وآراء الشعوب العربية. «فمن الشعراء الثوار، الذائع الصيت، فاروق جويده الذي لعبت لغة الشعرية دوراً بارزاً في ثورة مصر عام ٢٠١١م. دعا فاروق جويده في قصائده الثورية "حسني مبارك"وحزبه إلى الرحيل، لقد عبر الشاعر المصري الوطني عن ممارساته القمعية زمن حكم مبارك الذي زاد علي ثلاثين عاما□(٢). عندما سئل جويدة حول كتاباته عن القدس قال: مازلت أكتب عن القدس ...ومازلت ضد التطبيع ...ومازلت ضد عملية السلام مع إسرائيل...وإن لم أكن موجوداً فسوف أرفع يدي من القبر محتجاً إذ لم يكن سلاماً عادلاً للجميع(٣). هكذا هو شاعرنا ضلّ دائما مدافعًا عن قضايا وطنه وأمّته ومدافعاً عن الحق والإنسانية جمعيا.

أنماط الرفض في شعر فاروق جويدة

الرفض السياسي

كثير من الشعراء تعرضوا لواقعهم السياسي،وحاولوا بقصائدهم الموحاة من واقعهم المرير عادةً،أن يرفعوا من شأن الموقع السياسي وإعلاء صوت

الوطنية والقومية في نفوس الناس. جويدة شاعر امتاز بحسه الوطني وله آراء حول السياسة وطالما انتقد ممارسات النظام في مصر، و أنظمة الدول العربية. يتجلي رفض الشاعر للواقع المقيت الذي لا يطعم ولايغني من جوع، وأودي بحياة الشعوب العربية إلي الهاوية. يتمظهر هذا النمط من الرفض لدي الشاعر عبر المظاهر المختلفة منها ما يمتّ بصلة إلي الوطن ومسقط الرأس ثم كبت الحريات والتعبير عن الرأي بصراحة في ظلّ النظام السياسي القامع.حاول فاروق جويدة عبر تقنية التمرد والرفض في المرحلة الأولي تعرية الواقع وتزييفه والإبانة عن أسباب القهر والاستبداد ومواجهة مصادر الضعف والانحلال والاختلال بغية إصلاحها وتغييرها.من أهمّ تمظهرات الرفض السياسي عند الشاعر ما يمتّ بصلة إلي الوطن ومصائبه المختلفة وكبت الحريات وكمّ الأفواه.فمن هنا نستنتج أنّ الرفض السياسي لدي الشاعر شكل الجوهر الحقيقي لقصائده السياسية وهذا هو الذي مهّدت لها الظروف السياسية التي واكبت عملية تجربته الشعرية بحيث منحت الشاعر رافداً من أغني الروافد الفكرية.فالمتتبع لشعر فاروق جويدة يجده علي علاقة وثيقة مع واقعه السياسي، لأنّه مصري يعيش البيئة المصرية المتأزّمة، ومن هنا صار شعره كلوحة شفافة تجسد الواقع السياسي المتدهور الذي عاشته مصر.

الوطن

للوطن قدسية عظيمة ومكانة في قلوب كافة الناس، إلاّ أنّ للوطن في قلب وروح الشاعر ولعًا وعشقًا كبيرًا.قلّما نجد شاعراً لم يتغن بالوطن، لأنّه «لبُّ الفؤاد وعمق الأحاسيس، وخلايا الفكر، وكيان الروح، هوكل جميل في الوجود:حياة وإشراق وأمل وعزة، فلا غرو حين يصاب الوطن بمكروه نجد الجوارح مجتمعة تتحرك لتذود عن الوطن ليضل عزيزاً الشاعر»(٤). جويدة عشق الوطن وحفره في قلبه وكيانه حين رسم لنا صورةً مثيرةًحيث يتحدث عنه. الشاعر علي ثقة بأنّ نير الاستعباد والرضوح سيزول عبر المقاومة والصمود وعدم الاستسلام وهنا يظهر دور الشاعر المحوري في استنهاض الهمم، إذ إنّه موقن بأنّ الإنسان الثائر والحرّ يستطيع أن يكون البطل الحقيقي في مجال إزالة مظاهر الحرمان والبؤس من المجتمع الإنساني، ومن ثمّ صار الحس المكاني جزءًا من الطبيعة البشرية وإذا ما تعرض أحدهما إلي الخطر أو الضياع فإنّ الحسّ

يستنفر كل مكامن التصدّي في سبيل الحفاظ علي كيانه، لذلك عدّ هاجس الانفصال بين الشاعر وواقعه هو في جوهره هاجساً مكانيا لأنّه محور التجربة الشعرية(٥).

هكذا كان فاروق جويدة في كل أشعاره ثائراً مجلجلًا صوته حيث يقول:

كانَت لَنا يوماً هُنا أوطانُ
وَطنٌ بِلونِ الصبحِ
وَطنٌ بِلونِ الفَرحِ
حينَ يجيء مُنتَصراً عَلي الأحزانِ
وَطنٌ أضاء الكونَ عُمراً
بِالسَماحَة ...والهِداية...والأَمانِ
وطنٌ علي أَرجائِه الخَضراءِ هَل الوَحي
في التَوراة ...والإنجيل...والقرآن(٦)

نري الشاعر يقيم من ملفوظاته معني الصراع والجدلية التي تمثّل تلك الصياغات الدلالية عبر خطابه الشعري، فالرفض الحاصل في هذه الأسطر الشعرية تواجه وعي المتلقّي وتجعله أمام مشهد مزري من مشاهد هذا المجتمع، فهذا الموقف يؤدّي إلي تخصيب فكرة التمرد وعدم الاستسلام في تجربة الشاعر الشعرية بوصفه امتداداً للممارسة النضالية الحقيقية التي تجسدها ذاته المعذّبة. وسياسة الاحتلال والاستعمار التي تبث في كيان الفرد الإحساس بالهوان والخضوع إلي قوانين وأحكام لا تتماشي مع مرجعيته الفكرية والاجتماعية، تجعله يثور ويرفض هذا الجاني والظالم المستبدّ الذي لا همّ له سوي السطو والسلطة (٧).

يشير الشاعر في هذا النص إلي وطنه الكبير،"الأمة العربية والإسلامية" ويرسم لنا خارطته الكبيرة ،ويرينا مشهداً جميلاً من أيام عزّ هذا الوطن في الماضي. يبدأ كلامه بفعل (كانت) الماضي التي تجر معه حسرة في وجدان الشاعر علي الأيام الخوالي من أمجاد سجلها التاريخ للأمة، ووطنه كان حاضناً لكل هذه الأديان السماوية. التوراة ترمز إلي الديانة اليهودية، والإنجيل يشير إلي الديانة المسيحية والقرآن يدل علي الدين الإسلامي الحنيف. فكل هذه الأديان كانت تعيش بسلام وأمان ووئام في رقعة جغرافية واحدة وهي الأمة

العربيـة والإسـلامية، ولم يوجـد أيّ اخـتلاف بينهـا. أراد الشـاعر بهـذا الانسـجام الوحـدة العربيـة والإسـلامية في الماضـي.يبدأ الشـاعر هـذا المقطـع بـالوطن المفقـود، ويصـف امتـداد وطنـه الـذي يتخطـي الحـدود ويرسـم أجـواءه الدينيـة، الـتي كـان الإسـلام شـعار وحـدتهم وتكـاتف المسـلمين.كان موحـدهم الأول والأخـير، فالسياسـة معدومـة في الحاضـر بسـبب ابتعـاد المسـلمين عـن تعـاليم الـدين الحنيـف. لا ريـب أنّ الـوطن، كـان ومـازال، المحـرك الأسـاس للشـعراء الرافضـين، وعنـدما تتعلـق القضـية بـالوطن يتـواري كـل صـوت خـلاف الصـوت المعبر عـن وطـن محتـلّ أو وطـن يـرزح تحـت سـطوة حـاكم طاغيـة، وهنـا يكـون صـوت الشـاعر الأعلـي والأقوي ويكون الكلام عن غير الوطن ضربًا من العبث(٨).

إنّ الممعـن في تمظهـرات الـرفض السياسـي عنـد الشـاعر المصـري يجـد أنّ تكـريس الجهـود في هـذا المجـال لم يقتصـر علـي اتخـاذ موقـف مضـاد مـن الواقـع المحـيط بـه، بـل إنمـا عـبر هـذه المواقـف الشـعرية أن يفحـص المجتمـع المصـري فحصًـا واعيـا ويتخـذ موقفًـا إيجـابي مـن واقـع سـلبي. فمـن هـذا المنطلـق نجـد "أدونـيس" واحـدًا مـن أولئـك الـذين يـذهب إلـي أنّ فكـرة الـرفض تتجـاوز الواقـع إلـي واقـع أفضـل حيـث يعتـبر الـرفض بحـدّ ذاتـه عنصـر هـدم، ولكـن مـا مـن ثـورة جذريـة أو حضـارة جديـدة تـأتي دون أن يتقـدمها الـرفض ويمهّـد لهـا ومـن هنـا فـإنّ مهمـة الـرفض تكمـن في إرادة التغـيير فهـو لـيس هربًـا أو نفيـا إنمـا هـو مواجهـة للواقـع ودفاع عن الحرّية(٩).

مصـر وطـن الشـاعر وحبيبتـه وهاجسـه الـدائم، وهـي أمّ الحضـارات الـتي عانـت الكـثير في هـذا العصـر مـن ظـروف قاسـية مـن احـتلال تلـو احـتلال آخـر، ومـن حكـام غـير لائقـين أضـاعوا حقّهـا، وتضـاربت فيهـا القضـايا السياسية،فضـلًا علـي مسـائل أخـري كـالقمع والتشـريد والغصـب، وهكـذا ابتليـت بعـدة أمـور جعلتهـا تتراجـع عـن موقعهـا الحقيقي،فمصـر كـان لهـا مـاضٍ جميـل وتـاريخ عريـق وزاخـر، وحضـارة كـبيرة تقـدمت علـي جميـع الحضـارات. لقـد أراد الشـاعر مـن خـلال مواقفـه الرافضـة اصـطدام بالحقـائق المرّة الـتي يعانيهـا المجتمـع المصـري غـير محـاول تحطـيم الأسـس والمبـادئ، وإنمـا كـان هدفـه تنبيـه النـاس وتحـذيرهم وإيقـاظهم مـن الغفلـة تحقيقًـا للانسـجام الاجتمـاعي ضـمن شـرائح النـاس المختلفـة. فيسـتمدّ الـرفض أهميتـه عـبر صـلة الشـاعر بالأحـداث السـارية في المجتمـع ومـا آل بـه أمـر

النـاس إلـي انحـدار وتقهقـر بفضـل مـا قدّمـه مـن مواقـف صـارمة وحاسمـة تجـاه الظروف المحيطة بالمجتمع الإنساني.

تَركنـــــاك يـــــا مصـــــر بَـــــينَ الصَّـــــقيع
تُمَـــــزِّقُ فيـــــك لَيـــــالي الشِّـــــتاء
وبَـــــينَ العَواصِـــــف جِســـــمٌ نَحيـــــل
يـــــذُوبُ وتَبكـــــي عَليهـــــا السَّـــــماء
ووَجهُـــــك يحنـــــو عَلينـــــا اشـــــتياقاً
يلَملـــــمُ عَنَّـــــا الأَسَـــــي والشَّـــــقاء
وثَغـــــرُك يضـــــحَكُ بَـــــينَ الجِـــــراح
وفَـــــوقَ الظَّـــــلام يشـــــيعُ الضَّـــــياع
وخَلـــــفَ الجُفُـــــونِ بَقايـــــا دُمُـــــوع
تَثُـــــورُ في نهرِهـــــا الكبريـــــاء
وبَـــــرد الشِّـــــتاء يســـــوقُ الحَيـــــارَي
صُـــــفُوفاً لتَســـــكنَ بَيـــــتَ العَـــــراء(١٠)

مما لا ريب فيه أنّ انفعال الشاعر كان استجابة لما يعتريه من مواقف داخلية وخارجية يمكن لنا ملاحظتها ضمن سلوكه الفكري أو ردود فعله عبر البنيات اللغوية المتجسدة في الشعر التي غادرت آثارها في لغته الشعرية، بالرغم من ذلك أنّ الشاعر «في أدقّ مشاعره الذاتية، ومناجاته النفسية يعكس ما انطبع في نفسه من مأساة أمته ووطنه، عكسًا تتضاءل إلي جانبه الآلام الذاتية والعذاب الفردي»(١١).

عندما يتحدث الشاعر عن وطنه مصر، علاوة علي حسرته عليها وتألمه مما يحدث فيها نلمس في كلماته نبرة شفقة وعتاب، وملامة علي صورة رفض لفعل السكوت والصمت الذي اجتاح ضمائر كافة المصريين.وهذه هي نفس الشاعر الرافضة للأحداث الواقعية التي لا يستطيع الشاعر غضّ النظر عنها. يحمّل الشاعر أبناء الشعب مسؤلية مصر، ولا يستثني أحداً في حمل المسئولية والذود عن الوطن، والنضال من أجل الحرية.جويدة يلقي قصيدة بصيغة الجمع ."تركناكِ يا مصر بين الصقيع". يعتقد الشاعر بأنّ مأساة وطنه بالدرجة الأولي تعود إلي قصور أبناء مصر وعندما يبدأ الكلام بالفعل الماضي(تركناكِ) ينمّ عن

معني الصمت والسكوت المطبق علي الظلم والهوان من كافة أبناء المجتمع المصري، حيث لم يعترضوا ولم يرفضوا الظلم والفساد المستشري في أوصال الوطن،فرضوا الواقع الكئيب. هنا يتحول صوت الشاعر إلي ثوري صادح يحمل آلام الإنسانية وهمومها وغضبها والتي ترفض كل ضروب الاضطهاد والاستسلام والهزيمة، فضلًا عن توظيف الطاقات الإبداعية والأدوات اللغوية المعبّرة عن التمرد والرفض.انطلاقًا من هذا الموقف، نجد الشاعر يحاول رفض كل البني والأسباب التي تنجرّ إلي الانهزام والتراجعات بحثًا عن البديل والعوض لها، إذ يؤمن بالحياة ودورها في انبعاث الأمم والمجتمعات البشرية ويبحث عن الأمل والحلقة المفقودة بين أبناء البشر، فيرفض كافة عوامل التخلف من أجل بناء المجتمع القادر علي متابعة التقدم ونبذ الخلاف مما يمنح القصيدة عصريتها ويربطها بالعصر التاريخي المنصرم لتعبّر عن روح العصر الذي لا يمتلك الشاعر أمامه سوي الرفض والتمرد. وهذا ما ولّد في كيانه ثورة رافضة ضد النظام السياسي القامع والأنظمة المستبدة من أجل القضاء علي كبت الحريات وكمّ الأفواه داعيا إلي الإصلاح والانفتاح والتحرر والاستقلال في كافة المستويات، فمن ثمّ صارت قصائده مجالًا رحبة للإبانة عن رفضه للواقع المتردي وثورته علي الظروف القائمة وما يجيش في صدره من رفض وإباء وصمود ضدّ المستبدين بالنظام السياسي الحاكم ويشحن طاقة الإرادة والتحدي في نفوس الشعب المصري.

الثورة والحرية

إنّ الحرية أمنية كلّ إنسان حرّ. الشاعر فاروق جويدة حمل علي عاتقه قضايا أمته العربية والإسلامية وجسد في قصائده هذه الروح النضالية من أجل الوصول إلي الحرية وعودة الأمة كما كانت في الماضي. ألقي الشاعر قصيدة قبيل ثورة يوليو ٢٠١١ م حيث أعلن فيها غضبه واستياءه مما يحدث في الأمة العربية من مظالم، ويحثّ الشعب المصري والجماهير العربية علي الثورة، للإبانة عن رفضهم للظلم والمفسدين الذين جلبوا لشعبوهم كل مظاهر التخلف والعار والهزائم. استهلّت هذه القصيدة بفعل الأمر "إغضب" الذي ينطوي علي الاحتجاج والرفض ويستنهض الشعب العربي لمقارعة الأنظمة الفاسدة والنضال من أجل الحرية. يدرك الشاعر جيداً ما يحصل لوطنه مصر علي أيدي

الخـائنين والمتـواطئين والمفسـدين،وكيف عـاثوا في الأرض فسـاداً مـن أجـل مصـالحهم الشخصـية وكيـف سـرقوا قـوت الشـعب ونهبـوا ثرواتـه. الشـاعر في ثنايـا هـذه القصـيدة يحـثّ الشـعب علـي الـرفض المطلـق الصـريح ويـدعوهم الـي القتـال والنضال من أجل الحرية، ورفع المظلومية ، عثوراً علي حياة أفضل ومثالية.

إغضـــــــب ...ولاتســـــــمح لأحـــــــد
إغضـــب ...فـــإن الله لم يخلـــق شـــعوباً تســـتكين
إغضـــب... فـــإن الأرض تحـــني رأســـها للغاضـــبين
إغضـــب...فإن الـــريح تـــذبح ســـنبلات القمـــح
تعصـــف كيفمـــا شـــاءت... بغصـــن اليـــاسمين(١٢)

نلاحـظ أنّ الشـاعر كـرر هـذه المفـردة "إغضـب" أربـع مـرّات بصـورة حماسـية رافضـة أشـد الـرفض ويعمـد إلـي توظيـف تقنيـة التكـرار الـذي يعـدّ «ظـاهرة لغويـة يسـتخدمها الشـاعر لغـرض إيصـال رؤيتـه أو تأكيـد موقفـه بمـا يعززهـا ويقويهـا، فـالتكرار لـيس ظـاهر لغويـة فحسـب، بـل هـو سمـة فنيـة مقصـودة»(١٣). نلاحـظ الشـاعر كيـف يحـاول أن يعكـس معانـاة الـذات الشـاعرة في مواجهـة مـا حـلّ بـالوطن ومسـقط الـرأس مـن ويـلات ومصـائب. فـإذا أمعنـا النظـر في المجموعـات والقصـائد الشـعرية للشـاعر نجـد أنهـا تطفـح بفكـرة والـرفض والاحتجـاج، ومـن ثـمّ فـلا نغلـو إذا قلنـا إنّـه أبـرز الشـاعر المصـري الحـديث الـذي أراد مـن خـلال فكـرة الـرفض والاحتجـاج إصـلاح الواقـع المحـيط والمشـين بـه حيـث خلقـت كثـرة الصـراعات والوقـائع المـرّة نمطًـا مـن الشـعور بـالتوتر والقلـق والأزمـة الروحيـة والنفسـية عـبر المعطيـات الأدبيـة. نـراه في الأسـطر الشـعرية المـذكور أعلاهـا أنّـه يتحـدث مباشـراً ومصـرحًا عـن مقاسـاة الإنسـان الحـديث بمسـتوياته المختلفـة وبلغـة البـوح الـذاتي والمقاسـاة الفرديـة الـتي تـنمّ عـن مكابـدة إنسـانية عامّـة ويفصـح عـن عمـق المعانـاة والواقع المتخلف لدي المجتمع المصري الحديث.

ثم يغني للقدس الجريحة فيقول:

غَنيـــــت للقُـــــدس الحَبيبِـــــة أعـــــذبَ الألحـــــان
وانســـــــاب فـــــــوقَ ربوعِهـــــــا شِـــــــعري
يطـــــــــوفُ علـــــــــي المـــــــــآذن..
والكنَـــــــــــائسِ ..و الجِنَـــــــــــان

القـــــــدسُ ترســـــــم وجـــــــهَ طـــــــه
والملائـــــــــــــــك حولَـــــــــــــــهُ
والكـــــــون يتلـــــــو ســـــــورة الـــــــرحمن(١٤)

يعتبر الشاعر القدس حبيبة ويغني لها أعذب الألحان، وانساب شعره علي أرضها الجميلة، وطبيعتها الغنّاء ويذوب شعره وكلماته في حبها،وطاف علي مساجدها ليسمع صوت الأذان فيها حيث يرسم صورة النبي محمد(ﷺ) عندما أسري به من المسجد الحرام إلي المسجد الأقصي والملائكة تحيط به. من ثم يتابع جويدة رسم صورة القدس في الماضي وماكانت تحتوي في أحشائها من أنبياء.أراد الشاعر من خلال استدعاء القدس الشريفة انتشالها من براثن النسيان، لأنّ القدس «لن تنسي ما دام الشعراء يستدعونها من جديد في نصوصهم الشعرية، ولايتكئون عليها فقط، بل يعيدون كتابتها، وانتشالها من هول النسيان»(١٥) ، ومن ثمّ صارت القدس خلفية فكرية هامة لدي الشاعر العربي الحديث «لما تحمله من أبعاد دينية وحضارية وتاريخية والشاعر عندما يوظف القدس كمركز شعري لايكتفي بالذكر الحرفي لها، وتزيين النص بها ليظنّ القارئ أنّ الشاعر مرتبط برموز الأمّة ومتسلح بثقافة دينية، بل ليبرز قيمته وتأثره في حركية الأمة والتاريخ الإسلامي والعربي، ليبقي القارئ مرتبطًا بتاريخه المجيد وحضارته الرائعة» (١٦).

يعدّد جويدة من خلال تجربته الشعرية المصائب التي عصفت ببلاده و ما حل بوطنه الأمّ مدركا هذه المأساة ورسم حزنه وألمه،كما وصف كآبة الحاضر المرير بنغمة حزينة تتبلور فيها نزعة الرفض وتتجلي مشاعره وعواطفه وغربته عندما يذكر ما أصاب عاصمة المقاومة، القدس الشريفة، قائلًا:

القـــــــدس في الأفـــــــق البعيـــــــد
تطـــــــلُ أحيانـــــــاً وفي أحشَـــــــائها
طيـــــــفُ المسِـــــــيح ..وحولـــــــهُ الرهبـــــــان
القـــــــدسُ تبـــــــدو في ثيـــــــابِ الحـــــــزنِ
بـــــــلا نـــــــبضٍ ..بـــــــلا ألـــــــوان ..
تبكـــــــــــــــي كـــــــــــــــثيراً
كلّمـــــــا حانـــــــت صـــــــلاةُ الفجـــــــرِ..(١٧)

من الواضح عبر الأسطر الشعرية المذكور أعلاها أنّ الشاعر أراد عبر تحطيم جدران الصمت تجاه القضايا الاجتماعية والسياسية في المجتمع المصري تأسيس نمط من أنماط الرفض والتمرد والانعتاق من دائرة المسيح (عليه السلام) رمز النضال والمقاومة، فنراه يسير نحو إيدئولوجي ثوري يضفي علي النص لوناً من الجدة والإبداع.فأزمة المسيح (عليه السلام) عبر خارطة النص الشعري أزمة كل إنسان مصري في كل عصر، والشاعر يري رؤاه محطّمة بالإضافة إلي حالة السأم والاختناق والركود، ويري في المقابل الحاكم عاجزاً عن فعل كلّ شيء وحالة الشاعر أشدّ قسوة، لأنه يحاول الخروج من هذا الدائرة(١٨).

الرفض الديني

تشكل الشخصيات الدينية مساحة كبيرة في الشعر العربي المعاصر، وقد ارتبط الدين بالوجدان الإنساني ارتباطاً وثيقاً عبر العصور والأجيال ولايخفي ما للدين من أهمية في حياة الناس، لما له من علاقة بعواطفهم، إذ ليس هناك عاطفة أقوي من عاطفة الدين. اتضح لنا من خلال انصهار الشخصية الدينية في عالم الشعر وخاصة الشعر المعاصر ذلك الوعي والإدراك الفائق لدي الشاعر المعاصر، ومدي قوام وتأثير هذه المثل الواردة في معجمه الشعري. وهذا ناتج عن تواجُد الغربة والمعاناة الموجودة بين الشاعر والموروث الديني.فالشاعر أخذ يجني ثماره من هذا الحقل الثري وينهل من ينابيعه.

من الشخصيات الدينية التي اهتمّ بها فاروق جويدة في أشعاره وقام بتوظيفها، شخصية النبي الأكرم محمد (ﷺ)، لتكوينها الرمزي الروحي،وقوة إرادتها وحزمها وانتصارها. يستلهم الشاعر من شخصية الرسول (ﷺ) القدرة علي الرفض وكسح الظلم والعبودية، والتمسك بحبل الله المتين، وإعلاء راية الحق والعدالة والإنسانية. يخاطب الشاعر النبي قائلاً:

يا خيرَ الهداة الصادقين
أنا يا محّمد قد أتيتُك
من دروب الحائرين
فلقد رأيت الأرض
تسكر من دماء الجائعين(١٩)

من الواضح عبر الأسطر الشعرية المذكور أعلاها أنّ الشاعر يوصي أبناء الوطن المصري العودة إلي الذات وليست العودة سوي المخزون النضالي للأمة

العربية والإسلامية والأسس الدينية والمثل الإسلامية النبيلة هي نقطة البداية والنهاية المصرية للأمم الإسلامية ولاتنهض هذه الأمم إلا بالاعتماد على هذه المبادئ السامية. يعدّ توظيف الشخصيات الدينية في شعر فاروق جويدة نمطًا من أنماط الاغتراب الديني لدي الشاعر لما شاهد في المجتمع المصري من مظاهر الانحلال الخلقي وضعف الأسس العقائدية بين شرائح الناس المختلفة، هذا من جانب، ومن جانب آخر يلاحظ الشاعر المغترب ما تقوم به الدولة القائمة من تضعيف تعاليم الدين السمحة حيث اتخذ الدين كأداة طيعة للحكم علي الناس. حاول الشاعر عبر توظيف هذه الشخصيات الدينية أن يتخذها عنصراً هاماً من عناصر الحفاظ علي الهوية التاريخية والدينية والثقافية لما لها من تأثير في حياة كافة الشعوب المسلمة خاصة المجتمع المصري الذي يعاني مرارة الاحتلال في مجال الحكم. إذن، لم تكن هذه الشخصيات الدينية في شعر فاروق جويدة سوي أقنعة تضفي علي خارطة النص الشعري نمطًا من أنماط الجمال والإبداع الذي امتزج فيه التشكيل الفني بالمواقف الشعرية والشعورية.هذا النمط التعبيري «يتصاعد مع السمات التاريخية التي تلهمها هذه الشخصيات وانعكاسها في ذات الشاعر الممتزجة معها لتقديم المثال الإنساني في صورته الفاعلة وهذا الأسلوب الشعري يمثّل الجهد الكبير الذي يبذله الشاعر المحدث لإرساء دعائم متينة مع التراث الديني في الوقت ذاته يحرص علي تطوير أداوته الفنية وقدرته الإبداعية»(٢٠).نلاحظ عبر توظيف هذه الشخصات الدينية ضمن خارطة النص الشعري ضربًا من الشعور بالغربة لدي الشاعر الرافض، فلم يكن الرفض سوي نتيجة حتمية للشعور بالاغتراب الذي تخلقه تلك الظروف الصعبة المحيطة بالمجتمع خاصة عند الشعراء الذين يتميزون برهافة المشاعر والأحاسيس تجاه ما ينتابهم من مؤثرات وأسباب.فلا غرو إن تفاقم هذا الإحساس لديه، لأنّ الغربة «التي أصبح يحسّها الشاعر الحديث هي غربة في المثل، غربة وسط الأهل والأحباء محيطين به، يسكنه هاجس القلق من خلالها، والخوف من كلّ شيء وهذه الغربة ولّدت بطبيعتها غموضًا انعكس علي أشعارهم»(٢١).

تتبلور غربة الشاعر وحزنه في هذا النص بشكل شكوي رفضي وضجر من واقع الحياة الممل إلي النبي محمد (ﷺ). عندما تتعمق ذات الشاعر بالحزن يلجأ

إلي هذه الشخصية المباركة التي تنفس عن كربته ومحنته لاستعادة الحياة مرة بعد أخري.بناء علي ذلك، يحرص الشاعر علي تسجيل هذه المأسي القومية والمصائب المصرية وتثبيتها في الذاكرة الجماعية التي اتخذها أداة طيعة للتسرب إلي العالم الداخلي للذات وإيقاع نفسي مما يتيح للقصيدة الحديثة استكشاف المشاعر المتضاربة والإبانة عن تمزق الشاعر بين أمله ويأسه، ثمّ يتحول إلي مناجاة رامزة داعية للانبعاث الروحي الذي ينتظره الشاعر لأمّته(٢٢).

والنـــــاس تحـــــترق في رفـــــات العـــــدل
مـــــات العـــــدل فينـــــا مـــــن ســـــنين
أنـــــا يـــــا رســـــول الله طفـــــل حـــــائرٌ
مـــــن يـــــرحم الأبـــــاء مـــــن يحمـــــي الأبنـــــاء
النـــــــاس تأكـــــــل بعضـــــــها
هـــــذي لحـــــوم النـــــاس نأكلـــــها ونشـــــرب خلفهـــــا
دمـــــــع الحيـــــــاري المتعـــــــبين(٢٣)

يعدد الشاعر الأسباب لهذه الحيرة التي تختلج في كيانه،ويشتكي حاله إلي الرسول ويريد من الرسول أن يخلصه من هذه الأزمة الروحية.إنّما يبحث الشاعر عن الحقيقة، علّه يجد ضالته التي طالما بحث عنها في وجوده،فلم يحصل علي إجابة مقنعة، ويلجأ إلي أعظم شخصية يعرفها، وهي شخصية الرسول وقائد هذه الأمة. يريد أن يعرف منه الحقيقة، ويبحث عن ذاته الحائرة وسط المأساة والتشرذم.مع هذا التسائل تتمظهر رؤية الشاعر ونزعته الدينية كاشفًا عن السبيل الوحيد لحل مشاكل الأمة العقيمة التي هي بيد المسلمين أنفسهم، المتمثلة بالرجوع إلي الدين المبين وأسسه النبيلة وتعاليمه السمحة. يذكر الشاعر كيف ابتعد الناس عن الدين والقيم والمروءة التي يمثلها الأنبياء، وأنّ الناس خلطوا أمور الدين وأحكامه وتكاسلوا في أداء فرائضه. يكشف الشاعر عن مدي مأساة الإنسان في الزمن الحاضر ويرفض حالة الاضطهاد التي طغت في هذا الزمان، من قتل ودمار ومصائب تتوالي علي جميع الناس وكثرة سفك الدماء وضجيج الأرض من القتلي. يفتقد الشاعر المتمرد المُثل التي جاء بها الرسل والأنبياء والحياة السعيدة التي بُعثوا من أجلها ويلجأ إلي استحضار شخصية النبي الذي كانت حياته مليئة بالأحداث المؤلمة ومن هنا صار رمزا للصمود والتضامن ويستلهم من حياته ما يبعث في نفس الشاعر من قوة وثبات يتأسي بهما لتحمل المصائب.

الرفض الاجتماعي

يدلّ الرفض الاجتماعي عند الشاعر علي عدم الاستسلام للقيم السائدة علي المجتمع الإنساني ومن ثمّ يرفض الشاعر أن يتنازل عن نفسه فيصيب بنوع من التشظي الداخلي والصراع الفكري والروحي.لا ريب أنّ الثنائيات المتضادة التي شاهدها الشاعر العربي الحديث في المجتمع من أهمّ الأسباب التي خلقت في كيانه بذور الرفض والتمرد كالتدهور في الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية و...

الحالة الاجتماعية للشعوب هي أساس الحياة، وتشمل كل الحالات الإنسانية والاجتماعية. والشاعر يعيش هذه الأحوال منذ أن يفتح عينيه علي الحياة، ولايستطيع العزل عنها فيدرك جوانبها ويتأثر بسلبياتها ومعاناة الشعب.«ففي الشعر الاجتماعي يستجيب الشاعر لسمات المجتمع ويصبح قلبه مرآة تنعكس عليها خصائصه وميزاته»(٢٤). حمل فاروق جويدة علي عاتقه مؤازرة المجتمع وتخفيف همومه ورفض الظروف القاسية التي يعيشها المجتمع المصري ويسعي عبر الرفض والتمرد إلي رفع المشكلات بإعطاء البدائل.

الفقر

نظراً لما يتميز به المجتمع المصري في زمن فاروق جويدة من عوامل ومؤثرات سلبية كالفقر المدقع، الفساد الحكومي واغتصاب الأموال وشيوع الارتشاء من قبل الموظفين و...فقد كابد الشاعر ما كابده الآخرون في هذا المجتمع الإنساني.

الفقر من المظاهر الاجتماعية التي تهدد الشعوب والمجتمعات، وتحتاج إلي نهضة من أجل إزالته واجتثاثه والعمل علي الحصول علي مجتمع نموذجي يخلو من أي مظاهر منه. والبلاد العربية منذ أحقاب متوالية تعاني من حالة الفقر وخاصة الشعب المصري، والشاعر يطمح إلي اجتثاث الفقر والعوز من المجتمع من أجل حياة أجمل.جويده طالما انتقد مظاهر الفقر والظلم في مجتمعه وسعي إلي طرح حلول لهذه المشاكل.

سألت الطريق: لماذا تعبت؟

فقال بحزن:من السائرين

أنين الحياري..ضجيج السكاري

زحـــــام الـــــدموع علـــــي الـــــراحلين
وبـــــين الحنايـــــا بقايـــــا أمـــــان
وأشـــــلاء حـــــب وعمـــــر حـــــزين
وفـــــوق المضـــــاجع عطـــــر الغـــــواني
وليـــــل يعربـــــد في الجـــــائعين
وطفـــــل تغـــــرب بـــــين الليـــــالي
وضـــــاع غريبـــــاً مـــــع الضـــــائعين(٢٥)

سجل الرفض الاجتماعي حضوراً لافت النظر في شعر فاروق جويدة حيث اتخذ هذا الرفض مساراً إصلاحيا وذلك عن طريق تعرية الواقع وفضح تناقضاته.فمن ثمّ كان هذا النمط من الرفض في ثنايا إبداعاته الشعرية إيذاناً بحضور كثيف لهاجس الحلم وبتغيير المجتمع ومثله السائدة عبر البحث عن المجتمع المثال، لأنّ الشاعر عبر النتاج الأدبي «يريد أن يجعل من الواقع حلماً ومن الحلم واقعاً» (٢٦).انطلاقاً من هذا الموقف، فإذا اكتظ المجتمع المصري بمظاهر الفساد والحرمان واغتصاب الأموال فتحول هذا المجتمع الإنساني عنده إلي مكان ونموذج للاغتراب ولذلك سأم منه لما رأي فيه من هذه المظاهر المزرية.

إنّ المتأمل في هذه الأسطر الشعرية يجد البعد الإنساني للخطاب الشعري عندما يركز الشاعر علي الموقف الاجتماعي الثوري الذي ساقه مساق الرفض وترسيم الواقع المعيش من أجل التغيير والإصلاح، إذ استطاع أن يتعامل عبر النص الشعري مع الحياة بكل مستوياتها. نلاحظ بوضوح تلك القدرة الفائقة للإبداع الشعري ومدي القيمة الموضوعية للقصيدة في التعامل مع بناء الحياة الإنسانية وعناصرها، حيث لم يقف الشاعر تجاه مشاكل الناس الاجتماعية مكتوف الأيدي، بل اتخذ نفسه واحداً من هؤلاء الناس الذين يعيشون في فقر مدقع إثر خيانة الحكام والزعماء والمتكالبين علي السلطة.فالشاعر دوماً يعلن رفضه لهذه المظاهر المشينة لما تمثل من سلوك شائن، وعدّها من المثالب التي تسبب تفكك المجتمع وتحلل القيم السائدة والمبادئ القيمة (٢٧).

إذا أمعنا النظر في هذه المقطوعة الشعرية نجد أنّ الشعور بالفقر المدقع والحرمان الشامل من أهمّ الثيمات الأساسية عبرها حيث تشظت بشذراتها ضمن خارطة النص الشعري لخلق المقاساة والتأملات الوجدانية.من هنا نلاحظ أنّ الأشياء والجمادات تقوم بدورها الدلالي في النص المبدع للتعبير عن رفضها وألمها ومن كل ما يعاني الشاعر المؤلم من مظاهر القهر والسلب مما جعله يتخذ موقف الانفصال عن النظام السياسي القائم. إذن، فالشاعر أدرك تمامًا دور الشعر في الكشف عن مؤامرات الخونة ودسائس في المجتمع، لأنّ الشعر «هو السلاح المعنوي الذي يتسلح به الفقراء المغلبون علي أمرهم من أجل أن يحققوا لأنفسهم حياة حرّة وعادلة»(٢٨).

الشاعر ينطلق برحلة ذاتية ويبحث حول الأزمة القاتلة لكافة مرافق الحياة ويذم المفسدين الذين يخلقون هذه المصيبة المسماة بالفقر. يبحث الشاعر عن ضالة فيجيبه الطريق بملل وكلل لما يعانيه، والمعاناة هنا، تتمثل بذات الشاعر التي تجري علي لسان الطريق، والطريق هي دلالة علي عمر الإنسان وما يشاهده طوال حياته وما تمرّ عليه من نوائب وأزمات.جويدة كان ومازال شاهداً علي أحداث عصره المؤلمة، وهنا جاء الشاعر بهاتين العبارتين (أنين الحياري وضجيج السكاري) دلالة علي رفضه لما يجري في مجتمعه تعبيراً عن معادلة لامفارقة كما يخيل للملتقي.أراد أن يشير إلي أنّ الحيرة والسكرة متساويتان في المعاناة عند البائسين والفقراء، وكلاهما تدلان علي شدة المصيبة والفقر و تدلّ "أشلاء الحب" دلالة واضحة علي تبدد الزمن الجميل وانعدام المحبة. و"عطر الغواني" تعبير عن الفساد المستشري في المجتمع و"ضياع الطفولة" من سمات الفقر الجاثم علي الشعب المصري. و"زحام الدموع" تعبير عن كثرة الظلم الواقع علي المجتمع و"عربدة الليل في الجائعين" دلالة أخري علي طول مكوث الفقر الذي يعاني منه الشعب المصري.

الغربة والحرمان

الغربة هي أشدّ مأساة تمرّ بالإنسان وتتعمق في ذاته ومشاعره. فالغربة نوعان الأولي غربة الإنسان في الخارج أو المنفي، والثانية غربة الإنسان في وطنه وهي أقسي علي الإنسان من الأولي، ثم غربة الشاعر الروحية التي يجنح إلي كشفها من خلال نظم الكلمات، فالحرمان هو ابتلاء الشعوب في أوطانهم.

أنّـــي حَلمـــتُ ككـــلِّ أطفـــالِ المدينـــةِ
في ليـــــــالي العيـــــــد
وحلمـــــت باللُّعـــــب الصـــــغيرةِ والحـــــذاء
وقطعـــــــــة الحُلـــــــــوي
وبـــــــالثَّوبِ الجديـــــــد
وحَلُمـــــــــتُ يومـــــــاً..
أن أكـــــون الفـــــارس المغـــــوارَ
يغـــــــرسُ في رُبوعِـــــــكِ
كـــــــلَّ أحـــــــلامِ الوَليـــــــد
زمـــــــنٌ سَـــــــعيد..
وطـــــــنٌ مَجيـــــــد..(٢٩)

يفتتح النص علي فضاءات الحزن مما يصور أمامنا افتقاد الآمال وشيوع الآلام والمأسي الروحية التي تفتت أحلام الإنسان المعاصر الذي لا يزال يشجعه الشاعر لضرورة التماسك والانسجام من أجل المثابرة والمقاومة في أصعب الظروف لإعادة البهاء والأمل إلي الأرض الأمّ مواجهة لكل ما يعوقه من تواصل وخصب ونماء وجدب وسلب.

نلاحظ عبر هذه الأسطر الشعرية أنّ الشاعر يبذل جهوداً قيمة في مجال تحقيق مجموعة من الصلات والعلاقات بين بنية الشعر الحرّ وشفرات معانيه، إذ يهتمّ بذكر التفاصيل الناتجة عن تبلور مظاهر الحرمان والقنوط بين شرائح الناس المختلفة."فقطعة الحلوي" مفصل رؤيوي فجائعي تخلق مكابدة نفسية تعتصر كيان الشاعر وتصور تلك الأزمة الروحية التي يعيشها كل يوم.

بعد ذلك تأتي الحقيقة وهي حقيقة غربة ذات الشاعر الذي يصطدم بها وضياع أحلامه التي لم ترسُ إلي برِّ الأمان.هذه المعاناة تكفي لتنجب حالة الرفض لدي الشاعر.«وقدحاول شعراؤنا المعاصرون أن يكونوا مخلصين أمام

ذواتهم، وعند ذاك اهتز أمامهم النظام الخارجي واهتزت القيم والمعايير التقليدية، ومن ثم تولدت مشاعر الغربة والضياع»(٣٠). الواقع العربي المأساوي الحزين هو المصدر الحقيقي في الغربة التي تسربت إلي روح الشاعر ووجدانه.

أنشد جمّ غفير من الشعراء المعاصرين أجمل القصائد في المرأة، ومنهم من كان مدافعاً لحقوقها، ومنهم من طالب بحرية المرأة، ورفع مظلوميتها في المجتمعات.فاروق جويدة عرف بشاعر الحب،وكثيراً ما تغني بالمرأة، ولم ينس معاناتها في المجتمع الشرقي وخاصة في مصر.

جلست لتنزف في التراب دموعها
كم من جراح العمر
تحمل هذه الخفقات
من أين أنتِ..قالت
نحن الذين نجي في صمت
ونمضي في سكون
نحن الحياري الصامتون
نحن الخريف المرّ نحن المتعبون (٣١)

الشاعر في هذه القصيدة يسرد حكاية امرأة مثالاً لحالة النساء في المجتمع المصري، وما يمارس ضدهن من ظلم واضطهاد. الحالة الاجتماعية المزدرية في المجتمع المصري هي التي جعلت المرأة تعاني الفقر والهوان. فالذي لا شكّ فيه أنّ الشاعر أراد من خلال هذا المشهد الشعري التمرد والاحتجاج علي نموذج حياتي ساكن متخلف والتطلع إلي بناء حياة نموذجية تليق بالإنسان عامة وبالمرأة خاصة عن طريق الجدلية الخلاقة التي تمكن من إنتاج النقيض الحقيقي لذلك النموذج الساكن والذي يستطيع تشكيل نقلة نوعية من النموّ الذي يعلن عن التحقيق المنشود.أجاد جويدة التعبير عن حال المرأة المسكينة عندما يقول تتربع الأحزان في داخلنا،فهو كشف الستار عن الحزن المكنون في داخل المرأة المسكينة التي تعيش مأساة طويلة. لا ريب أنّ الشاعر أحس بكل مشاعره ما قاست المرأة العربية في المجتمع المصري وأراد من تصوير المرأة في النص الشعري تحريرها من القيود والعوائق الاجتماعية التي عاقتها من النهوض والحركة وكان

صوته معبّرا عن هموم المرأة الذاتية. نلاحظ عبر هذه الأسطر الشعرية أنّ معاملة المجتمع مع المرأة تتسم بالعبوس والزجر والمنع عبر المفردات البنيوية (صمت، سكون، صموت، تعاب). حاول الشاعر عبر كل هذه العوائق الاجتماعية أن يرفع من شأن المرأة ونراه يخلق من كلها سبباً قوياً لاستمرار عملية الإبداع الفني في مستويين مختلفين: المستوي الإنساني والفني. نلاحظ الشاعر ينمّ عن مسوغات الحزن والأسي اللذينِ أحاطا بحياة المرأة العربية في المجتمع المصري.

الخاتمة

توصّل البحث أخيراً إلي نتائج هامّة ومنها ما يلي:

الرفض في العصر الحديث،كان ومازال مصدر إلهام الشعراء وتفنّنهم،وإذا أمعنا النظر في النتاج الأدبي عند القدامي نجد أنهم لم يهملوا جانب الرفض في قصائدهم كما نتصور، بل كان سلاحهم المشهور بوجه الزمان والظروف. الرفض في العصر الحديث خطي خطي كبيرة حيث شمل كل معاناة واحتياجات البشر، والشاعر عبّر عن تجربته الشعرية من خلال الرفض وعايش الناس وصار الشعر لسان حال المجتمع.الأمر الذي لا ريب فيه أنّ تبلور الرفض والتمرد لدي الشاعر العربي الحديث كان استجابة لكثير من الأسباب والأحوال التي انتابته والتي من أهمّها السبب السياسي والإيديولوجي والاجتماعي الذي كان وافيًا لتخصيب فكرة الرفض في تجربته الشعرية.

سعي الشاعر في استحضار التاريخ والتذكير بالماضي الذي هو جزءٌ لا يتجزأ من حضارات الأمم وعمد إلي إعادة ذلك الماضي في شعره، وأخذ الدروس والعبر من الأجداد واستلهام القوة والشجاعة منهم،وحاول من خلال ذلك لمّ شعث الأمة العربية والإسلامية بقصائده وتوظيف الشخصيات التاريخية والدينية والعواصم العربية.

يستحق جويدة وبجدارة لقب شاعر الوطن، فإن قصائده لا تخلو من ذكر الوطن، حتّي وإن كانت قصيدة غزل.تعمق الشاعر بالرفض الوطني والسياسي وأخذ الوطن مساحة كبيرة في أعمال الشاعر الشعرية واحتلّ مرتبة عالية في فضائه الشعري، فرفع من قدر الأوطان ودافع بحب وإخلاص عن وطنه ورفض ما يحدث فيه وما يمرّ به من أزمات ومحن وحثّ الشعوب علي قول (لا)

والنضال من أجل الحرية، وحب الأوطان وإنّ عزتها من عزة الإنسان وذلّه من ذلّ الأوطان. شمل رفضه الواقع السياسي الذي اقتبس من الواقع المرير لتبلور نزعة الرفض في نتاجه الأدبي.كما استحضر كثيراً من الشخصيات السياسية وتعرض لهم بالرفض الصريح وانتقد أعمالهم بقوة وصرامة. غرف الشاعر من مناهل الدين في توظيفه للشخصيات الدينية من الأنبياء والصالحين، فتدرّع الشاعر بدرع قويم، عندما أدخل في رفضه الأنبياء وانتقد حال المجتمع البائس والعذاب الذي صبّ فوق رؤوس الناس والمعاناة في هذا العصر هو نتيجة ابتعادهم عن تعاليم الدين وأسسه السامية.

من خلال احتكاك الشاعر المباشر بالمجتمع والاطلاع علي معاناة الناس، شمل الرفض الاجتماعي في قصائد جويدة عدة قضايا تعسرت في واقعه ومنعت الشاعر من الوصول إلي طموحه وأحلامه، فلم يدع مجالًا في الاجتماع إلاّ وكان صوته صداحاً فيه. افترش الفقر مكانة كبيرة في رفض الشاعر للظروف الصعبة حيث حاول أن يجد حلولاً ناجعة لهذه المشكلة المتأزمة والمزمنة في المجتمع المصري واعتقد بأنّ الفقر مصدر رئيس لكل المصائب التي يعاني منها وطنه. ومن ثم الجشع والطمع الذي استشري في البلاد هو المرض الآخر المزمن الذي يحتاج إلي اجتثاث وابتعاد الناس عن المبادئ والقيم والخلق الحميدة.

هوامش البحث

١- ابن منظور، ١٩٢٩م، مادة رفض
٢- عموري،٢٠١٥م، ١١٣
٣- جويدة،٢٠٠٧م، ١٦٥
٤- زعرب، ٢٠٠٨م، ٦٧
٥- الجندي، د.ت، ٥٦
٦- جويدة، ١٩٨١م، ١٣٤
٧- طوشن،١٩٨٧م، ٤٥٧
٨- قطوس، ١٩٩٨م، ١٦٧
٩- أدونيس، ١٩٧٨م، ٦٦
١٠- جويدة، السابق، ٢٠٨
١١- عباس، ١٩٧٤م، ٥
١٢- جويدة، ١٩٩٠م، ١٥٦
١٣- العكيدي،٢٠١٥م، ٨٨

١٤- جويدة،١٩٩٧م،
١٥- خرفي،٢٠٠٧م، ١٤٩
١٦-نفسه،١٤٦
١٧- جويدة، ١٩٩٠م،٣٥٧
١٨- جون، ١٩٦٣م، ٩٩
١٩- جويدة، ١٩٨١م، ٣٨
٢٠- قميحة، ١٩٨٧م، ٦٦
٢١- قري، ٢٠٠٩م، ٤٨
٢٢- عيد، ٢٠٠٣م، ١٤٣-١٤٢
٢٣- جويدة،١٩٩٧م، ١٤٣
٢٤- أيمن، ٢٠٠٧م، ١٣
٢٥- جويدة، ١٩٩٠م، ١٦
٢٦- المساوي، ١٩٩٤م، ٢٥٣.
٢٧- مقلد، ١٩٩٦م، ٣٤
٢٨- عزالدين، د.ت، ٨٣
٢٩- جويدة، ١٩٨١م، ٥٥
٣٠- عزالدين، ٢٠٠٧م، ٣٥٨
٣١- جويدة، ١٩٨١م، ١٥٦
٣٢- صفدي، ١٩٨٦م، ٧٥

قائمة المصادر والمراجع

- ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب،بيروت، دار المعارف ، ١٩٢٩م.
- أدونيس، علي أحمد سعيد، زمن الشعر، بيروت، دار العودة، ١٩٧٨م.
- جون، ديوي، الفن خبرة، ترجمة زكريا إبراهيم، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٦٣م.
- الجندي، أحمد، خصائص الأدب العربي، بيروت، دار الكتاب اللبناني،د.ت.
- الصفدي، مطاع، إستراتيجية التسمية في نظام الأنظمة المعرفية، بغداد، دارالشؤون الثقافية، ١٩٨٦م.
- طوشن، عبدالرحمن، شعرة الثورة في الأدب العربي، الرباط، المغرب، مكتبة المعارف، ١٩٨٧م.
- العكيدي، محمد سالم، جماليات الرفض في الشعر العربي مقارنة تأويلية في شعر أبي تمام، ط١، الأردن، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- عزالدين،إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، بيروت، دارالعودة، ٢٠٠٧م.

- ------، الشعر في إطار العصر الثوري، لبنان، دار القلم، د.ت.
- عباس، إحسان، مقدمة الآثار الشعرية لكمال ناصر، بيروت، المؤسسة العربية، ١٩٧٤م.
- عيد، رجاء، لغة الشعر، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٣م.
- فاروق جويدة، الأعمال الكاملة، القاهرة، مركز الأهرام ، ١٩٨١م.
- ------- ديوان ألف وجه للقمر، القاهرة،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٠م.
- ------ ديوان زمان القهر علمني، القاهرة، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٩٧م.
- ------- الأعمال الشعرية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٧م.
- قميحة، جابر، التراث الإنساني في شعر أمل دنقل، بيروت، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٧م.
- قطوس،بسام، إستراتيجيات القراءة التأصيل والإجراء النقدي، إربد، مؤسسة حمادة ودار الكندي، ١٩٩٨م.
- مقلد، محمد علي، الشعر والصراع الإيديولوجي،ط١، بيروت، دار الآداب، ١٩٩٦م.
- المساوي، عبدالسلام، البنيات الدالة في شعر أمل دنقل، دمشق، اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٤م.

البحوث المنشورة

- عموري، نعيم، موتيف الإمام الحسين (عليه السلام) في شعر فاروق جويدة، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد ٣٧، سنة ٢٠١٥م.
- خرفي، محمد صالح، البعد الديني والتاريخي في الشعر الجزائري المعاصر، مجلة الخطاب، العدد الثاني، الجزائر، ٢٠٠٧م.

الرسائل الجامعية

- زعرب، أحمد موسي، الشهادة وتجلياتها في الشعر الفلسطيني المعاصر بعد ١٩٧٦م، جامعة غزّة، ٢٠٠٨م.
- أيمن ،سليمان مسمح، الاتجاه الاجتماعي في الشعر الفلسطيني بين انتفاضتين ١٩٨٧-٢٠٠٥م، رسالة الماجستير، جامعة غزّة،٢٠٠٧م.
- قري، مجيد، مسار الرمز وتطوره في الشعر الحديث، أطروحة الدكتوراه. جامعة باتنة، ٢٠٠٩م.